

النملة الخشبية

قصص للأطفال

هاني السالمي

حوض نعناع

حين رحلت جدتي لم تترك أشياء كثيرة، إلا مكحلة نحاسية على شكل فاكهة الجوافة، وثلاث أثواب مطرزة باللون الأحمر والأزرق والبرتقالي، وخواتم فضية ملفوف عليها خيط صوف حتى لا تفلت الخواتم من أصابعها، وقنينة عطر زجاج أرسلها لها أخوها من بلاد الخليج، وحلق ذهبي صغير على شكل حبة اللوز، عماتي وزعن الأشياء عليهن، وعمي الكبير باع الحلق الذهبي وبثمنه اشترى طحيناً أسمرًا وسمن بلدي أصفر براحة زكية، واجتمعت صديقات جدتي وزوجات أعمامي، عماتي لبسن أثواب جدتي الثلاث، وصنعن كمية كبيرة من المفتول، كانت وصيتها أن يوزع المفتول بالطحين الأسمر على روحها، في ليلة اليوم الثالث من غيابها تجمعت النساء في بهو البيت، وبدأنا يصنعن المفتول ووزع الطعام على أهل المخيم...

لكنها أيضا تركت شيء صغير ومهم رغم انه عادي جدا ولم نتبه أحد له، أنه حوض النعناع المدور في منتصف حاكورتنا الصغيرة، من الجهة الغربية يوجد قفص لأربعة دجاجات بلدية حمراء مرقدة باللون الأسود وديك من نوع دجاج فرعون، من الجهة الشمالية مزروعة نخلة تطرح كل عام ثلاث قنوان (عناقيد) كانت جدتي تجمع الثمار وتشقه نصفين وتضعه في الشمس حتى يجف وتضع عليه رشّة من الطحين وتخزنه، ومن ثم تخرجه وطوال العام نأكل شقيق البلح.. من الجهة الشرقية يوجد سور قصير قديم حجارته مصنوعة من التراب الخشن الأصفر وأصداف البحر المكسرة ومثبتة بالطين الأحمر، السور يفصل بين بيت جدتي وبين بيتها قبل أن تتزوج جدي، جدتي وجدي كانوا جيران قبل أن يتزوجا... في الجهة الجنوبية يوجد باب خشبي

أخضر يوجد به عشرات من المسامير كأنه لوحة فنية، هذا الباب كان يهرب منه أعمامي حين يهجم علينا الجنود لاعتقالهم في أوقات منع التجوال...

حوض النعناع وحجارته مرصوفة بشكل هندسي، يتخيل لك أن كل حجر له قصة، جدتي لم تخرج بعيدا عن المخيم سوى ثلاث مرات، أول مرة حين زارت عمي في سجن نفحه في النقب، حين عادت جلت معها حصوات كبيرة من أرض بالقرب من السجن وعرق نعناع صغير، وقبل أن تحكي لنا عن عمي ذهبت للحاكورة وغرست عرق النعناع في الوسط، قالت وقتها: رائحته مثل رائحة جبال النقب، المرة الثانية حين أجبرناها أن تذهب معنا إلى شاطئ البحر، كانت ترفض بشدة لكن أعمامي حملوها ووضعوها في السيارة وذهبت معنا على البحر، فصارت تمشي على شاطئ البحر وتجمع صخور صغيرة ملتصقة بها بقايا أصداف تجمع هياكل المحار البيضاء، قالت وقتها: المحار الأبيض يقوي الأسنان، أم صخور البحر سأضعها عند حوض النعناع...

المرة الثالث حين أدرج اسمها للذهاب للقدس للصلاة في المسجد الأقصى، لم تتم جدتي الليل وهي تنظر الصباح وطوال الليل كانت تدعي بأدعية وتغني بصوت شجي وتقول: (على القدس خذوني علشان أصلي، واقعد عن مسرى النبي)، أيضا جلبت صخور وحجارة من القدس ووضعتها عند حوض النعناع وكلما جلست في الحاكورة كانت توصي: حين يخرج أبي من السجن اصنعوا له شاي وضعوا له ورق من النعناع أنا زرعت له...

رحلت جدتي، وكبر عمي بعيدا عنا، ونحن ننتظره وما زلنا نشرب الشاي براحته جبال النقب...

الحمار الذي رفس الجندي

حين ركض أهل قرية كرتيا خوفا من الغرباء، الجميع حمل ما يقدر عليه، جدّي عبد الله الوحيد الذي حمل كتباً كان يقرأها ويقص أحداثها على أطفال القرية، كان من بينهم كتاب العلاج بالأعشاب، وعن السحر، جدي كان مشهوراً في العلاج وخاص أمراض الجلد والعيون، وضعهم على كارة حمار أبيض وطوال الطريق كان يمسكهم بحذر، بعد عدة أيام من الركض والخوف والسفر وصلت عائلتي إلى قطاع غزة... في بداية الأمر سكنوا خيمة بالقرب من شاطئ البحر، وبعد عام سكنوا في المخيم في بيت طيني قصير الباب....

بدأت وكالة الغوث للاجئين في بناء مدارس وعيادات طبية للناس، وعمل جدي على حماره ينقل الكتب الدراسي والدفاتر والأقلام من مخازن الوكالة إلى المدراس، وكان المدرسين يعرفون أن جدي يقرأ ويكتب، وحين يغيب أحد المدرسين كان جدي يدخل الفصل ويحكي للطلاب قصص...

وفي وقت الإجازة ووقت الأعياد كان يزن جدي حماره ببالونات والأوراق الملونة ويضع طربوشاً طويل على رأسه، ويدور به في المعسكر وكان الأولاد يركبون الحمار بقرش وقرشين، في الأعياد جدتي كانت تصنع حلوى السمسمية والفسقية والفسار الملون وتضعها على طاولة أمام البيت وتبيع للأولاد المخيم...

الجنود كانوا يتحلون في المخيم، وفي يوم عيد الفطر ركضوا خلف عمي وأبي لأنهم علقوا علماً فلسطينياً على عمود الكهرباء الوحيد في المخيم، ركضوا وحين وصلا لجدي وهي يسوق حماره المزين احتمالاً بالحمار، حاول الجنود أن يأخذوهما، لكن حين اقترب الجنود من الحمار صار يرفس بهم

وينهق عليهم، ارتعب الجنود وركضوا من المكان، كان اهل المخيم كلهم
يشاهدون ما حدث، فصفقوا وصفروا بصوت عالٍ...

نظارة بألوان قوس قزح

ياسمين عمرها لا يتعدى أعداد الأمتار التي تستطيع أن تخطوها، ولدت لترى كل ما حولها بلون واحد، الألوان غادرتها، رحلت بعيداً، الألوان حولها تتطاير، لكن لم تستطيع أن تلمسها، الخطوات التي كانت تخطوها إما تسعة أو عشرة خطوات.

كلما كبرت يكبر معها لونها الوحيد. فتميز الأشياء بتدرج اللون. أمها تراها فاتحاً، أبوها تراه غامقاً... أولاد الشارع تراهم بتدرج الحب لهم. .. ألعابها كلها متشابهة.

لم يلاحظ أحد عليها إنها تعيش مع لون واحد، ياسمين كانت عادية جداً.. لكن لا تركض. ولا تجري.. لكن تحرك يداها في الفضاء كثيراً.

لكن مشكلة الألوان بدأت تلاحظ في البيت، عندما تقول لها أمها ياسمين: احضري الغطاء الأصفر... يا ياسمين: احضري الوردية الحمراء. يا ياسمين: احضري الفستان الأبيض.

كانت تصيب مرة وتخطأ مرات في الأشياء. مرة طلبت منها أمها أن تحضر الفستان الأزرق لترديه لتذهب معاً لسوق. أخطأ وأحضرت الفستان الأخضر.. احضري الفستان الأزرق وليس الفستان الأخضر (قالت الأم).. تعجبت ياسمين. لأنها ترى الأشياء متشابهة، مسكت الأم بيد ابنتها وذهبت لترى الفستان الأزرق، هذا لونه أزرق، وهذا لونه أحضر، لا تخطئي مرة أخرى. هيا حتى لا نتأخر.

صممت. لفترة من الزمن، وهي تدور برأسها في أجزاء البيت، لم تجد شيء يختلف عن الشيء الآخر. كل الأشياء بلون واحد.

خافت فصرخت، جاءت أمها تركض فزعة، ياسمين، ياسمين. ماذا حدث، ولماذا تضعين يدك على عينيك. ماذا حدث لعينك. رفعت يدها عن وجهها، أمي: أنا لا أرى الألوان لكني أرى كل الأشياء بلون واحد. لم تفهم عليها أمها، ماذا تقولي: أنا لا أرى سوى لون واحد، الذي علمتني إياه قبل قليل وهو لون الفستان، أنا لم أرى لون الفستان الأخضر، وكثير حين كنت تطلبين من اللون الأحمر أو اللون الأبيض لم أميزهما..

حملت الأم ياسمين، وذهبت بها إلى طبيب العيون... كشف على عيونها، تعجب مما يلاحظ.. فرك ذقنه مستغرباً.. قال الدكتور: لا يوجد علاج لحالتها... أتمنى أن يتقدم الدواء ونجد الحل..

رجعنا (الأم وياسمين) إلى البيت.. الأم طوال الطريق تبكي، لكن ياسمين كانت عادية، حين تنسى مشكلتها مع الألوان.. كانت تقفز على الحجارة.. وتسبق أمها بالمشي.. وحين تفكر بمرضها كانت تشارك أمها الحزن..

في الطريق قابلت ياسمين صديقا فارس.. كانت الدموع لم تجف عن خدها، سألتها: لماذا تبكي.. ردت: الدكتور قال لي بأن عيوني بها مشكلة، وأنا لا أرى سوى اللون واحد... اندهش فارس مما يسمع لأنه لم يلاحظ أي تغيير في حركاتها.

صار فارس يفكر في ياسمين وذهب يفكر في حل... تذكر فارس درس قوس قزح من دروس العلوم وكيف أن قوس قزح له مجموعة من الألوان، وأن العين ترى كل الألوان السبعة مع بعضها البعض... أكمل تفكيره: ياسمين لا

ترى سوى اللون لون واحد هناك ستة ألوان مفقودة من ألوان قوس قزح...
ماذا لو صنعت نظارة لها بها ستة ألوان فقط لتكمل الألوان.

أسرع يركض إلى صانع النظارات في آخر الشارع... دخل عليه ويلهث من
التعب... سأله بائع النظارات: لماذا تركض وتلهث، قص فارس عليه قصة
ياسمين... وأنه يريد أن يصنع لها نظارة من ألوان قوس قزح..

فكر في فكرة فارس، وأكد له أنه سيصنع له النظارة إذا كانت تفيد عيون
ياسمين..

بعد انتظار، انتهى من صناعة النظارة، حملها فارس وصار يركض إلى
ياسمين..

ياسمين... ياسمين... وجدت الحل.. خرجت ياسمين من بيتها لتستقبل
فارس.. كان يمسك النظارة بيده، قالت له: ماذا هذه النظارة، قال: أنها لك
أنها نظارة قوس قزح، حاولي أن تلبسيها وسترين كل الألوان

وضعت ياسمين النظارة على عيونها... صارت الألوان تتراقص أمامها...
الأحمر يتوج، الأزرق يتكسر، الأخضر يكبر ويصغر، البرتقالي دوائر
صغيرة، النيلي يشبه اللون الأزرق، البنفسجي أدهشها...

كان فارس يراقب بفرح، ملامح وجهها تتلون بالابتسامات... كان يعظ على
يده ويريد أن يصل هل النظارة حلت مشكلة ياسمين...

قفزت ياسمين على فارس تعانقه وتقول: لم أعرف يا فارس أنه أسود البشرة
إلا بهذه اللحظة، لكن أجمل من اللون القديم الذي كنت أراك به...

النملة الخشبية

نظرت النملة العجوز إلى صغار النمل حولها وقالت لهم سوف أخبركم بقصة صارت في قريتنا، في يوم من الأيام كانت إناث النمل تحضر نفسها لتتجب صغارا جدد للقرية لتكبر وتصبح قريتنا قوية وكبيرة ويكثر عدد النمل الذي يعمل لجلب العذاء لنا، كانت هناك نملة غريبة ولا تسمع من أحد وكانت تعيش حرة وتفعل ما تشاء.

أخبرتها الملكة: أن لا تأكلي من الشجرة البنية، لأنها شجرة ملعونة ونحن النمل لا نحبها، ونسكن بالقرب منها لأن لا مكان آمن إلا بقربها.

لم تسمع النملة الغريبة كلام الملكة وفي يوم كانت جائعة، وهي بقرب من الشجرة البنية، وسقطت ثمرة بالقرب من منقارها، نظرت النملة إلى اليمين واليسار فلم تجد أحد حولها، فأكلت من الثمرة وكان طعمها لذيذ لكن غريب.

وبعد لحظات جاء وقت الولادة للنملة، فوضعت بيضة لونها بني تختلف عن باقي لون بيض النمل.

وبعد أيام من الرعاية بالبيض في قرية النملة من إناث النمل، فقس البيض وخرج النمل من بين القشور، لكن البيضة البنية تأخرت فغضبت الملكة من النملة الغريبة، وبعد أيام من الصبر فقس البيضة ليخرج منها نملة كبيرة لونها خشبية بنية غريبة.

خافت القرية من النملة الغريبة الخشبية، وكل القرية منعت صغارها أن تلعب مع هذه النملة الغريبة، وأطلق عليها الجميع اسم (ووود الغريب).

حاولت الملكة أن تطرد النملة الغربية وصغيرها من القرية، لكن حكمااء القرية قالوا للملكة علينا بالصبر، لأن هناك حكمة تقول الغرباء لا ينتظرون كثير في المكان، وفي يوم سترحل لوحدها، هي وصغيرها ووود.

حاولت النملة الام أن تغير من شكل صغيرها، لا يصبح مثل النمل الصغير، كانت تدهن جسمه باللون الأسود، وتتركه يلعب مع الصغار، ويحين يذوب اللون الأسود يكتشف النمل أمره، فيهربون منه، حاولت أيضا أن تصنع له ثوباً من الجلد الأسود، وكان يرتديه ويلعب مع الصغار، لكن حين يقفز كثيراً كان يظهر لونه البني الخشبي الحقيقي، فيهرب منه الصغار مرة أخرى.

حزن ووود كثيراً وجلس في ثقبه لم يخرج أبداً منه، والملكة تراقب كل شيء وطال الانتظار.

لكن الأشياء تتغير بسرعة في هذه القرية السعيدة.

في يوم ماطر جدا وعاصف والمياه كانت كثيرة وقوية والسيول صارت في كل مكان، ودخل سيل الماء إلى القرية وصار سكان القرية يهربون من الماء، وحاولوا أن ينجذوا الصغار، لكن الأمر كان صعب جداً.

سمع ووود الصراخ وخرج من ثقبه فوجد الماء في كل مكان ويرتفع في القرية، نظر ناحية غرف الصغار فوجد الماء كاد يغرقهم، حاول أن يركض إلى هناك، لكن لاحظ أنه يطفو فوق الماء، استغرب مما يحدث معه، نظر إلى أمه وقال لها: يا أمي أنا أسبح ولا أغرق، قالت له أنت نملة خشبية ولن تغرق، أسرع وأنقذ الصغار.

سبح ووود إلى ناحية الصغار وصار يحملهم على ظهره ويضعهم في مكان آمن، وكرر العمل أكثر من عشرات المرات حتى أنفذ كل صغار القرية. كانت الملكة تراقب عمل ووود بقلق وبتعجب لخدمه القرية رغم رفضها له. أنهى ووود مهمته وكان منهك جداً.

وانتهى السيل من القرية وجفت المياه، وأنقذ الصغار، وجاءت الملكة للوود وشكرته كثيراً، وأخبرته أنت من الآن ملك القرية.

وجاء صغار القرية وقدموا الهدايا للوود، من السكر والقمح، ولعبوا معه طوال الليل.

عصفور الدوري يعد من واحد إلى عشرة

تقف أمل على حافة النافذة المطلة على حديقة منزلها الصغيرة. وبصوتها الجميل كانت تشدو طول اليوم بأغنية الأرقام، من واحد إلى عشرة، التي تعلمتها من معلمتها في الروضة.

عصفور الدوري كان سعيداً بصوتها. يرفرف حولها. كلما عدت أمل رقماً كان يُزقزق وراءها بما يعادل الرقم. (واحد، زق... اثنان، زق، زق.....
ثلاثة، زق، زق، زق.....)

عندما تنتهي أمل من الزقزقة، تجري إلى أمها، لتخبرها بأن طائرَ الدوري حفظ درس الأرقام.

في الروضة، كانت تقف أمل لتعد الأرقام، وتضع زقزقة وراء كل رقم. أصدقائها ومعلمتها صفقوا لها على هذا اللحن الجميل. تعود إلى بيتها، وحقيبتها تتقافز على كتفها من السعادة.

ماما، ماما، (تنادي أمل): حصلتُ على جائزة لأنني قدمت أغنية الأرقام بلحن جديد.

لأن عصفور الدوري شاركني في اللحن، سأضع القمح له اليوم بالقرب من النافذة، وأغني له طول اليوم، لأنه ساعدني في اللحن.

كان منديل أمها مليء بالدموع، سألت أمل أمها لماذا تبكي.... سأعطيك نصف جائزتي. حضنت الأم ابنتها الصغيرة، وقالت لها: بيتنا مبني

بالطين، والشتاء جاء سريع، والمطر سيكون كثير (غزيراً) في هذا الفصل. وأخاف أن يدخل الماء علينا وتبتل ويزداد علينا البرد.

لم تفهم أمل كثيراً ماذا تقول أمها عن المطر والشتاء. لكن في هذا الوقت تذكرت أن أبيها كان يحضر مواد بناء ويصلح بها جدران البيت، وحين تسأله ماذا تفعل؟، كان يرد عليها: أصلح البيت ليمرّ الشتاء علينا بخير.

لكن أبيها رحل عنهم في الصيف ولم تدرك أمها مشكلة الشتاء إلا في موسمه.

حزنت أمل من بكاء أمها

صورة منديلها المبلل بالدموع لم يفارقها. فكرت أمل بأن تحكي قصة الشتاء وبيتهم لطائر الدوري، عسى أن تجد عنده لحنا جميلاً تحل به المشكلة.

ووضعت حبات القمح بالقرب من النافذة، رفر ف عصفور الدوري ليلتقطها.....

صارت أمل تحكي قصة الشتاء الذي سيدخل من جدران بيتهم الضعيفة، وأن الماء سيبلل ملابسهم، والبرد سيجعل أمي تبكي كثيراً..... قصت القصة أكثر من مرة لعصفور الدوري.... وسقطت دمعة من عينيها على حبات القمح.

كان عصفور الدوري يلتقط القمح ويزقزق.... قالت له أمل: انتهينا من درس الأرقام، الآن يوجد درس الشتاء الذي لم أجد له لحناً يناسب خوف أمي

استيقظت أمل في الصباح، فلم تجد أمها في ساحة البيت، خرجت أمام الباب، فوجدت أمها تحمل بعضاً من مواد البناء وتحاول وضعها على الجدران، كان العمل شاق بالنسبة لامها الرقيقة. حاولت أن تساعد أمها، لكن مواد البناء كانت ثقيلة.

جلست بالقرب من أمها وهي تعمل، وكانت حبات العرق تنزل من جبين أمها أكثر من الدموع التي بللت منديلها.

فجأة صارت الغيوم سوداء، وبدأ المطر يهطل بغزارة، لكن الأم لم تنته من إغلاق بعض الثقوب الموجودة في الجدران. حاولت أن تسرع في العمل، لكن المطر كان قوياً وبارداً جداً... هربت أمل إلى البيت، لحقت بها أمها، لتحتمي من المطر.

حضنت أمل أمها، وقالت لها لا تخافي يا ماما، المطر لن يدخل بيتنا ولن تبتل ملابسنا.

في تلك اللحظة تذكرت الأم بأن هناك ثقباً ناحية النافذة، لم تغلقه، فخافت أن يدخل ماء المطر منه إلى البيت. حاولت أن تخرج لتغلقه، لكن المطر منعها من الخروج.

كان صوت حفيف الأشجار وحبات المطر شيء مخيف، كأنك تسمع صراخ... جلست أمل بالقرب من أمها. غلب النعاس أمل فنامت على كتف أمها، لكن أمها ظلت طوال الليل تراقب جدار بيتها خوفاً من أن يسقط، وكان يقلقها الثقب الموجود في ناحية النافذة. لأنه بالقرب من سيل الماء.

جاء الصباح ثقيلًا بارداً، بضوء من شمسٍ كسولة، استيقظت أمل، لتهز كتف أمها، فنهضت كأنها خائفة من شيء. قالت لأمها: لا تخافي الماء لم يدخل بيتنا وملابسنا ما زلت في الخزانة.

سمعت أمل صوت الدوري وهو يزقزق زقزقة الأعداد، لكن كان الصوت كأنه من بعيد أبعد من النافذة.

ذهبت أمل إلى النافذة، لتري عصفورها، ولتطعمه حبات القمح، لكن لم تجده، وكان صوت الزقزقة يبعد أكثر وأكثر.....

ذهبت أمل إلى الحديقة، لتبحث عن عصفورها. فلم تجده. فخافت أن يكون هرب من المطر. وفجأة وهي تدور في الحديقة. وجدت عصفور الدوري أغلق الثقب الوحيد بجسده ليمنع الماء من دخول البيت.

مات العصفور غرقاً من الماء. حملته أمل وجففت ريشه البني، وحفرت له حفرة وضعته فيها، وصارت تغني له.. (زق، واحد، زق، زق، اثنان.... زق، زق، زق، ثلاثة.....)

وهي تبكي.